بين الوهم والحقيقه

تفكيك المعتقدات والخرافات وتعامل المراءه في ضوء القرآن والسنة

بقلم: إبراهيم مصطفى شحاتة

المقدمة

ما أكثر ما يتداوله الناس من أقوال، ويتوارثونه من عادات، ويؤمنون به من معتقدات!

منها ما هو صحيحٌ أصيل، مستمد من نور الوحي، ومنها ما هو دخيل، لا أصل له في الدين، بل ربما خالفه وجانبه، وهو عند أصحابه يقين لا يُناقَش، وحق لا يُرد.

لقد امتلأت حياة المسلمين اليوم بخليطٍ من المفاهيم، بعضها نابع من فهمٍ خاطئ للدين، وبعضها موروثٌ من عاداتٍ اجتماعية أُلبِسَت ثوبَ القداسة، حتى باتت تُعامل كأنها من أركان الإسلام!

ومن هنا كانت الحاجة ملحّة إلى وقفة صادقة، نُفرّق فيها بين الحق والباطل، بين الدين والخرافة، بين ما هو من اللّه ورسوله، وما هو من هوى الناس وثقافتهم.

في هذا الكتاب، نأخذ بأيدي القارئ في رحلة علمية مبسطة، نعرض له أشهر المعتقدات والممارسات التي شاعت بين الناس، ونضعها تحت ميزان الشرع، مستندين في ذلك إلى الدليل من القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وأقوال العلماء المعتبرين.

ولم نقف عند المفاهيم العقدية أو العبادية فحسب، بل تطرّقنا إلى ما يتعلق بالعلاقات بين الرجال والنساء، من حيث ما يُحل وما يُحرّم، وما يجوز وما لا يجوز، بعيداً عن المبالغات أو التمييع، وبعيداً عن التشدد والتساهل المذموم.

هدفنا من هذا الكتاب ليس مجرد بيان الحكم، بل تصحيح الفهم، وتقريب العلم، وتحرير العقول من أغلال الخرافة، حتى يعبد المسلم ربَّه على بصيرة، ويسلك درب الحق عن علمٍ ويقين.

فإلى كل باحث عن الحقيقة، وكل غيورٍ على دينه، وكل من أرهقته التساؤلات، هذا الكتاب إليك...

بقلم: إبراهيم مصطفى شحاتة

الجزء الأول: معتقدات منتشرة بين الناس

أولا: خرافات في العقيدة

من أعظم ما يميز العقيدة الإسلامية هو نقاؤها وصفاؤها من الخرافات والأساطير التي لا تستند إلى دليل، ولا تقوم على منطق، فهي عقيدة ربانية المصدر، جاءت لتحرر العقل من الخضوع لغير الله، ولتنقي القلب من التعلق بما لا يملك نفعًا ولا ضرًا.

لكن مع مرور الزمن، وابتعاد الناس عن العلم الشرعي، ظهرت بين المسلمين خرافات ومعتقدات باطلة تسربت إليهم من الثقافات المحيطة، أو تناقلوها عن آبائهم وأجدادهم دون تحقق، حتى صار كثيرٌ منها جزءًا من الواقع، يردده الناس ويؤمنون به دون حرج.

الحسد والخرزة الزرقاء:

إن الإيمان بالحسد أمرٌ ثابت في الشرع، فقد قال الله تعالى: "ومن شر حاسد إذا حسد" [سورة الفلق: 5]، وأثبت النبي ﷺ وجود الحسد، فقال: "العين حق، ولو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين".

لكن بعض الناس بالغوا في فهم هذه الحقيقة، فلجأوا إلى وسائل لا أصل لها، كتعليق التمائم والخرز الأزرق، أو رسم الكفّ والعين على الأبواب والسيارات لردّ الحسد، وهذا من الشرك الأصغر، لأنه يتضمن تعلق القلب بغير الله.

قال النبي ﷺ: "من تعلق تميمة فقد أشرك"، والتّمائم هي كل ما يُعلّق لدفع العين أو جلب النفع أو دفع الضرّ، سواء أكانت خرزة، أم ورقة، أم حتى آيات من القرآن إذا أُعلّقت اعتقاداً بأنها وحدها تحمي، لا بوصفها وسيلة شرعية مقرونة بالدعاء والتوكل على الله.

تعليق الأحجبة و"الحجابات":

ينتشر بين بعض الناس ما يُسمّى "الحجاب" أو "الحُجُب"، وهي أوراق تُكتب فيها طلاسم غير مفهومة، أو آيات قرآنية بطرق معكوسة، ثم تُلف وتُعلّق على الجسم، أو تُدفن تحت الأرض، أو توضع في الوسائد، زعمًا بأنها تحمي من السحر أو تجلب الحظ.

وهذا العمل يدخل في باب الشعوذة، وقد يكون من قبيل السحر أو الاستعانة بالجن، خاصةً إذا احتوت هذه الأوراق على رموز سحرية أو أسماء غريبة، وقد أفتى العلماء بتحريم ذلك تحريمًا قاطعًا، بل يجب إحراق هذه الأوراق والتوبة من استخدامها، لأن فيها نوعًا من الإشراك الخفي.

قراءة الأبراج والطالع:

من الخرافات المنتشرة بين الناس اليوم تصديق الأبراج، وربط الصفات الشخصية أو الأحداث اليومية بتاريخ الميلاد أو البرج الفلكي، وهذا أمر لا أصل له في الإسلام، بل هو نوع من الكهانة، وقد قال النبي ﷺ: "من أتى عرافًا أو كاهنًا فصدّقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد".

إن علم الغيب لا يعلمه إلا الله، ولا يمكن أن يُحدَّد مستقبل الإنسان أو شخصيته بناءً على موقع الكواكب والنجوم عند ولادته، وهذا من التلاعب بعقول الناس، وسبب في تشويش عقيدتهم، وإضعاف توكلهم على الله.

التشاؤم من الأيام أو الأرقام:

يعتقد بعض الناس أن هناك أيامًا "نحسًا"، أو أرقامًا تجلب الحظ السيء، كالتشاؤم من يوم الأربعاء، أو الرقم 13، أو السفر في يوم معين، وهذا كله لا أصل له في الشريعة، بل هو من "الطِّيَرة" التي نهى عنها النبي ﷺ، فقال: "الطيرة شرك".

كان العرب في الجاهلية يتشاءمون بصوت طائر، أو بمكان معين، فجاء الإسلام ليجتثّ هذه المعتقدات، ويؤكد أن الخير والشر بيد الله، وأن لا شيء يصيب العبد إلا بما كتبه الله له، قال تعالى: "ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله، ومن يؤمن بالله يهدِ قلبه" [التغابن: 11].

زيارة القبور للدعاء وطلب الحاجات

إن زيارة القبور في الإسلام مشروعة، بل مستحبّة، لكن بشروط واضحة ومقاصد شرعية صحيحة، فهي وسيلة لتذكّر الآخرة والدعاء للأموات، لا لطلب الحاجات منهم أو التوسّل بهم، قال النبي ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكّركم الآخرة".

لكن بعض الناس — عن جهل — يحوّلون زيارة القبور إلى طقوس شركية، فيقفون أمام القبر يطلبون من الميت الشفاء أو تفريج الكرب، أو يتوسّلون إليه مباشرة، أو يعتقدون أن له قدرة خارقة على قضاء الحاجات، وهذا من الشرك الأكبر الذي ينافي التوحيد.

الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يملك الضر والنفع، والموتى لا يملكون لأنفسهم شيئًا، فكيف يملكون لغيرهم؟ قال تعالى: "والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير" [فاطر: 13]، وقال أيضًا: "إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا ما استجابوا لكم" [فاطر: 14].

والدعاء عبادة، لا يجوز صرفها لغير الله، حتى لو كان المدعوّ نبيًّا أو وليًّا صالحًا، فالواجب أن ندعو الله وحده، ونتوسل إليه بأسمائه وصفاته وأعمالنا الصالحة، لا بالأموات ولا بالمقبورين.

المبالغة في التبرك بالأشخاص أو الأماكن

البركة من الأمور الشرعية الثابتة، لكن لها ضوابط، فليس كل ما يظنه الناس مباركًا يكون كذلك، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان مباركًا في ذاته، وأن ما مسّه بيده كان فيه الخير، لكن هذه البركة خاصّة به ﷺ، ولا يجوز تعميمها على غيره من الأشخاص أو الأشياء.

يعتقد بعض الناس أن لمس ضريح وليّ أو الصلاة في مكان معين يجلب البركة أو يشفي من المرض، فيسعون لذلك ولو خالفوا الشريعة، وقد يمسحون على جدران الأضرحة أو ينذرون لها أو يطوفون بها، وهذا من البدع الشركية التي لا أصل لها، بل نهى عنها الإسلام بشدة.

وقد قال عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه عندما قبّل الحجر الأسود: "إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول اللّه ﷺ يقبلك ما قبّلتك"، وهذا يدل على أن الأفعال التعبدية يجب أن تُضبط بالشرع، لا بالعاطفة أو الموروث الشعبي.

خلاصة هذا الفصل:

العقيدة الصحيحة تُبنى على العلم والدليل، لا على التقاليد أو المشاعر أو الموروثات.

وكل ما يناقض التوحيد أو يُفسده، يجب الحذر منه، مهما شاع بين الناس، فليس كل ما اعتاده الناس يكون حقًا، بل العبرة بما جاء به الكتاب والسنة، وفهمه الصحابة الكرام، رضوان اللّه عليهم.

والمسلم مطالب بأن يُنقّي عقيدته من كل دخيل، ويُخلص قلبه للّه وحده، ويترك ما لا دليل عليه، لأن التوحيد هو أساس الدين، وأصل النجاة في الدنيا والآخرة.

ثانيا: البدع المنتشرة باسم الدين

البدعة في اللغة هي كل شيء جديد لم يكن موجوداً من قبل، أما في الشريعة فتعني: كل ما أُحدث في الدين مما ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة، وقد قال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ"، أي مردود عليه لا يُقبل.

وقد حذّر النبي ﷺ من البدع في مواضع كثيرة، وقال: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة"، ومع ذلك فقد تساهل كثير من الناس في الابتداع في العبادات، بحجة "النية الطيبة" أو "محبة النبي" أو "تكريم الدين"، وهو تساهل خطير يفتح باباً واسعًا للانحراف.

في هذا الفصل، نسلّط الضوء على بعض أشهر البدع التي شاعت بين المسلمين في العصور المتأخرة، مع بيان حقيقتها، وخطرها، والحكم الشرعي فيها بالدليل.

بدعة الاحتفال بالمولد النبوي:

من أكثر البدع انتشاراً بين الناس اليوم ما يُعرف بـ"الاحتفال بالمولد النبوي"، حيث تُقام مجالس فيها الأناشيد والمدائح، ويُوزع الطعام والحلوى، وأحيانًا تُخلط هذه المجالس بطقوس شركية كطلب الحاجات من النبي ﷺ، أو التوسل بذاته، أو المبالغة في وصفه بصفات لا تجوز إلا للّه.

ومع أن حب النبي ﷺ فرض على كل مسلم، إلا أن هذا الحب يجب أن يُترجَم باتباع سنته، لا بابتداع أعيادٍ ومناسبات لم يشرعها، ولا فعلها هو، ولا أحدٌ من صحابته الكرام، الذين كانوا أشد الناس حبًا له واتباعًا لهديه.

لم يحتفل النبي ﷺ بمولده، ولم يحتفل به أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا عليّ ولا أي أحد من التابعين، فلو كان خيراً لسبقونا إليه، كما قال الإمام مالك رحمه اللّه: "ما لم يكن يومئذ دينًا، فلن يكون اليوم دينًا".

وقد أفتى كبار العلماء بأن هذا الاحتفال بدعة، لأنه زيادة في الدين لم يأذن بها اللّه، ولأن الأصل في العبادات التوقيف، أي لا يُعبد اللّه إلا بما شرع.

قراءة القرآن جماعياً على الميت:

من العادات الشائعة اليوم ما يُسمّى "القراءة الجماعية للقرآن على الميت"، حيث يجتمع الناس بعد الوفاة لقراءة القرآن بصوت موحد أو على شكل دور، ثم يُهدون ثواب القراءة للميت، وهذا العمل لا أصل له في السنة، ولم يُفعل على عهد النبي ﷺ ولا صحابته.

القرآن عبادة، وكل عبادة تحتاج إلى دليل، ولا يجوز الاجتماع على عبادة لم ترد عن النبي ﷺ، وقد قال الإمام الشاطبي: "البدع هي طريقة في الدين مخترعة، تُضاهي الطريقة الشرعية، يُقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد".

وقد أجاز بعض العلماء إهداء ثواب القرآن للميت إذا قرأه الشخص منفرداً بنية الإهداء، لكنهم أنكروا الاجتماع المنظم والمبتدع، لأنه وسيلة إلى الرياء والتفاخر، وتحويل الجلسة إلى عادة اجتماعية لا عبادة روحية.

البدع في الأذكار بعد الصلاة:

من الأخطاء المنتشرة أيضًا المبالغة في الأذكار بعد الصلاة بصيغ محدثة، كقول "صدق الله العظيم" بعد قراءة القرآن دائمًا، أو تكرار الأدعية الجماعية بصوت واحد، أو تخصيص صيغ معينة لم ترد عن النبي ﷺ، مثل ترديد بعض العبارات بعدد محدد بدون دليل.

وقد وردت أذكارٌ صحيحة بعد الصلاة، مثل: "أستغفر الله" ثلاثًا، و"اللهم أنت السلام ومنك السلام..."، و"سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر" ثلاثًا وثلاثين، وكلها صحيحة ومأثورة، ويجب التقيّد بها، لا اختراع غيرها.

الإبداع في الدنيا محمود، أما في الدين فهو مردود، لأن العبادة لا تُقبل إلا بشرطين: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول ﷺ، وأي مخالفة لهذين الأصلين تُخرج العمل من دائرة القبول.

التوسل المبتدع بغير الله:

التوسل من الأمور التي التبس أمرها على كثير من الناس، فصار بعضهم يتوسّل بالأنبياء أو الصالحين بعد وفاتهم، أو يدعو الله بحقّ فلان أو جاه فلان، ويعتقد أن ذلك يقربه إلى الله، وهذا النوع من التوسل محدث لم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة.

التوسل المشروع يكون بأسماء الله وصفاته، أو بالأعمال الصالحة، أو بدعاء الحي الصالح، كما في قصة أصحاب الغار الذين توسلوا بأعمالهم، ففرّج الله عنهم، أما التوسل بذات المخلوق أو جاهه، فلم يثبت فيه دليل صحيح.

وقد قال العلماء: إن التوسل بالذوات وسيلة إلى الشرك، لأن فيه تعظيماً للمخلوق بما لا يليق، وإذا اقترن به اعتقاد أن هذا المخلوق يؤثر في الكون أو يجيب الدعاء، صار ذلك شركًا أكبر.

خلاصة هذا الفصل:

البدع تبدأ صغيرة ثم تكبر، وتُقبل بحسن نية ثم تُعتمد كدين، وقد تؤدي في النهاية إلى الشرك والضلال.

والسبيل الوحيد للسلامة هو التمسك بالسنة، وترك ما خالفها، والرجوع إلى فهم الصحابة والتابعين، لأنهم كانوا أقرب الناس إلى الحق، وأحرصهم على اتباع النبي ﷺ دون زيادة ولا نقصان.

فكل عبادة لم يشرعها الله فهي مردودة، مهما زيّنها الناس، أو اعتادوها، أو نُسبت زورًا إلى محبة الدين.

ثالثا: مفاهيم مغلوطة عن القضاء والقدر

من أعظم أركان الإيمان التي يجب على المسلم أن يؤمن بها: الإيمان بالقضاء والقدر، كما قال النبي ﷺ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره".

لكن مع جلالة هذا الركن، فقد ضل فيه كثير من الناس بين غالٍ وجافّ، وتسرّبت إليه مفاهيم مغلوطة، جعلت البعض يتواكل، والبعض الآخر يظن أن لا فائدة من السعي والعمل، متذرّعًا بأن "كل شيء مكتوب"، وهو سوء فهم لا يليق بمقام الإيمان.

في هذا الفصل، نعرض أشهر الأخطاء التي يقع فيها الناس في فهم القضاء والقدر، مع تصحيحها في ضوء القرآن والسنة.

"ربنا كاتب عليا كده" كمبرر للخطأ:

كثيرًا ما نسمع من يبرر ذنبه أو فشله أو تقصيره بعبارة: "ما هو ربنا كاتب عليا كده"، كأن القدر حجة لترك الطاعة أو لفعل المعصية، وهذا خطأ خطير، بل قد يدخل في باب الاحتجاج بالقدر على المعاصي، وهو باطل.

الله سبحانه وتعالى قدّر كل شيء بعلمه، لكنه لم يُجبر أحدًا على المعصية، بل أعطى الإنسان العقل والاختيار، وبيّن له طريق الخير والشر، فقال: "وهديناه النجدين" [البلد: 10]، أي طريق الخير وطريق الشر.

وقد جاء رجل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سرق، فقال له: "سرقت؟"، قال: "قُدّر عليّ ذلك"، فقال عمر: "نقطع يدك بقدر الله"، أي أنك تحتج بالقدر على المعصية، ونحن نُقيم عليك الحد بالقدر أيضًا، وهذا يبيّن أن الاحتجاج بالقدر لا يُقبل إلا بعد وقوع الفعل، لا قبله ولا أثناءه.

هل الإنسان مجبور على أفعاله؟:

من أكثر المفاهيم المغلوطة أن يعتقد الإنسان أنه مجبور على ما يفعل، لا يملك من أمره شيئًا، وهذا يخالف النصوص الشرعية والعقل السليم.

الله تعالى يقول: "من عمل صالحًا فلنفسه ومن أساء فعليها" [فصلت: 46]، ويقول: "كل نفس بما كسبت رهينة" [المدثر: 38]، فدلّ ذلك على أن الإنسان يملك إرادة واختيارًا، ومسؤول عن أعماله، وإن كانت داخلة في علم الله السابق.

العباد يُمتحنون في الدنيا، ولا يُعقل أن يُحاسَب إنسان على شيء لم يكن له فيه اختيار، ولذلك قال العلماء: "للعبد مشيئة لكنها تحت مشيئة الله"، بمعنى أن الإنسان يختار، ولكن الله يخلق فعله ويُقدّره بعلمه وحكمته.

الفرق بين الرضا بالقدر والاستسلام للواقع:

من الخطأ أن يظن بعض الناس أن الرضا بالقدر يعني السكوت عن الظلم أو الرضا بالفقر والمرض دون سعي للتغيير، وهذا غير صحيح، فالإسلام يأمر بالسعي، ويحث على التغيير، ويعلّم المسلم أن يسأل الله الخير دائمًا.

النبي ﷺ كان إذا أصابه أمر، سعى للأخذ بالأسباب، ودعا الله، ولم يكن يقول: "هذا قدري ولا مفر"، بل كان يجتهد ويعمل، ويأخذ بالأسباب، ثم يرضى بالنتائج، سواء أكانت نصراً أو هزيمة، صحة أو مرضًا، غنى أو فقرًا.

قال النبي ﷺ: "احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل"، وهذا الحديث يُفرّق بوضوح بين السعي قبل الحدث، والرضا بعده.

هل كل ما يحدث للإنسان قدر لا يُردّ؟:

الناس يخلطون أحيانًا بين القدر الذي كتبه الله، وبين الابتلاء الذي قد يُرفع بالدعاء أو الصدقة أو الاستغفار، فيظنون أن كل ما يقع حتميّ لا سبيل لدفعه، وهذا خطأ.

فمن أقدار الله ما جعله قابلاً للتغيير بالدعاء، كما قال النبي ﷺ: "لا يردّ القضاء إلا الدعاء"، وقال أيضًا: "إن الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء"، فدلّ ذلك على أن القدر لا يعني الجمود أو العجز، بل السعي والرجاء والخوف.

الإنسان يُقدَّر له المرض، فيدعو الله فيُشفى، ويُقدَّر له الفقر، فيسعى فيُغنى، ويُقدَّر له الذنب، فيتوب فيُغفر له، فالقضاء لا يُفهم بمعزل عن رحمة الله، ولا عن أبواب الخير التي فُتحت للمؤمنين.

خلاصة هذا الفصل:

الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، لكنه لا يُفهم على أنه دعوة للتقاعس أو تبرير المعاصي أو الخضوع للأوهام.

بل هو باب للثقة بالله، وحُسن التوكل عليه، والسعي في الخير، مع الرضا بما يقدّره الله بعد بذل الجهد.

فالعبد بين أمرين: الاجتهاد في الطاعة، والرضا بالنتيجة، وهذا هو جوهر الإيمان بالقضاء والقدر كما فهمه السلف الصالح.

الجزء الثاني: العلاقات بين الرجل والمرأة فى الإسلام

رابعا: حدود التعامل بين الجنسين

جاء الإسلام بشريعة كاملة متوازنة، تحفظ كرامة الإنسان، وتضبط شهواته، وتوجّه فطرته توجيهًا سليمًا.

ومن أهم ما اعتنى به الإسلام: تنظيم العلاقة بين الرجل والمرأة، بحيث تقوم على الاحترام والطهارة، لا على الانفتاح المطلق أو الانغلاق التام.

فلا هو دعا إلى عزلة تامة بين الجنسين، ولا هو أطلق العلاقة بلا قيد، بل وضع حدوداً واضحة تمنع الفتنة، وتحمي الأعراض، وتصون المجتمع.

في هذا الفصل، نتناول أبرز المسائل التي تختلط على الناس اليوم، ونبيّن فيها الحكم الشرعي، والدليل من القرآن والسنة، بعيداً عن الغلو أو التفريط.

حكم الاختلاط بين الرجال والنساء:

الاختلاط المقصود هنا هو تواجد الرجال والنساء في مكان واحد دون ضوابط شرعية، مما يفتح باب الفتنة والنظر المحرّم والكلام الخارج عن الأدب، وقد حذّر الإسلام من هذا النوع من الاختلاط، لأن النفوس ضعيفة، والشيطان لا يفتر.

قال النبي ﷺ: "ما تركتُ بعدي فتنة أضرّ على الرجال من النساء"، وقال أيضًا: "إياكم والدخول على النساء"، فقيل له: أفرأيت الحمو؟ قال: "الحمو الموت"، أي أن الدخول المتساهل من أقارب الزوج فيه خطر عظيم.

ولم يمنع الإسلام وجود النساء في المجتمع، لكن قَيّده بالحشمة والحذر والاحتشام، مثلما كانت النساء يخرجن للصلاة خلف النبي ﷺ، لكن في صفوف منفصلة، ويخرجن بعد الرجال، ولا يختلطن بهم.

المصافحة بين الرجل والمرأة:

من الأمور التي يُتهاون فيها اليوم: مصافحة النساء من غير المحارم، كأن يصافح الرجل زميلته أو جارتَه أو زوجة صديقه، وهذا مخالف لما ورد عن النبي ﷺ، فقد قال ﷺ: "لأن يُطعن أحدكم في رأسه بمخيط من حديد خير له من أن يمسّ امرأة لا تحل له".

وقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي ﷺ لما بايع النساء لم يمسّ يد واحدة منهن، مع أن البيعة كانت موقفًا دينيًا عظيمًا، فكيف بمن يصافح لمجرد المجاملة أو العادة الاجتماعية؟

فالمصافحة بين الجنسين لا تجوز شرعًا، سواء أكانت بحسن نية أو بدافع الحرج، لأن الأمر تعبدي، وليس عُرفيًا.

المزاح والضحك بين الجنسين:

يعتقد بعض الناس أن المزاح بين الرجل والمرأة أمر عادي طالما لا يتضمن كلامًا فاحشًا، لكن الإسلام وضع حدوداً دقيقة للتعامل بين الجنسين، وأمر بغضّ البصر وحفظ اللسان، وسدّ أبواب الفتنة كلها.

قال الله تعالى: "فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض" [الأحزاب: 32]، أي أن الله نهى المرأة عن التلطّف الزائد في الحديث حتى لا يُفتَن بها مَن في قلبه مرض.

والمزاح والضحك بين غير المحارم — سواء في الواقع أو عبر وسائل التواصل — قد يفتح باب الإعجاب والعلاقات المحرمة، ولو بدأ على سبيل البراءة، فإن النفس تميل، والشيطان يزيّن.

العمل المشترك وحدوده:

أجاز الإسلام عمل المرأة في مجالات مباحة تليق بطبيعتها، كالتعليم والطب والتطبيب للنساء، وغيرها، بشرط الاحتشام، وعدم التبرج، وضبط التعامل مع الرجال، فلا تخضع في القول، ولا تخلو برجل، ولا تتساهل في العلاقة.

قال الله تعالى: "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى" [الأحزاب: 33]، وهذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ لكنها تشمل عموم النساء، لأن المقصد فيها حماية المرأة من الفتنة، وحماية المجتمع من الانهيار الأخلاقي.

فالمرأة المسلمة في عملها يجب أن تلتزم بالحجاب، وتقتصر على ما يلزم من الكلام، وتتجنب الخلوة، وتحرص على حدود الله، ومن يفعل ذلك فإن له الأجر والثواب، وبه تُحقق المرأة نجاحها الحقيقي دون أن تفتن أو تُفتَن.

هل علاقة الأقارب مثل المحارم في حدود التعامل مع المرأة:

لا, ان تعامل المرأة مع غير الأخ والأب والعم والخال والجد والابن والزوج وولد الزوج يكون محرم, مثل ان تجلس معاه في بيت واحد, ان تخوض في الحديث معه, والمزاح والضحك الذي يكون بين الاخوه والازواج, والمصافحه تحت بند انه مثل اخي او مثل ابي كل هذا محرم لانه يعتبر اجنبي عنها.

خلاصة هذا الفصل:

العلاقة بين الرجل والمرأة في الإسلام مبنية على الطهارة والاحترام والوقار، لا على اللهو أو التساهل أو الانفتاح الزائف.

وكلما التزم المسلم والمسلمة بأوامر الله في تعاملهما، زادت الطمأنينة في المجتمع، وتحصنت الأسر، وسادت المودة والسكينة.

فالدين لم يمنع الخير، بل وضع له ضوابط، ومن تجاوزها وقع في الشر، ولو كانت نيته طيبة.

خامسا: الحجاب والستر

من أعظم ما شرعه الإسلام لحماية المجتمع، وصيانة المرأة، وتطهير القلوب: فرض الحجاب والستر، لا كقيد على الحرية، بل كدرعٍ للكرامة، وعلامةٍ على العفة والتقوى.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة واضحة في الأمر بالحجاب، وبيان حدوده، والردّ على كل من يشكّك فيه أو يُهوّن من شأنه، ومع ذلك ظهرت دعوات حديثة تُنكر فرضيته، وتزعم أنه عادةٌ اجتماعية لا علاقة لها بالدين، وهذا كلامٌ باطل يخالف النصوص الشرعية الصريحة.

في هذا الفصل، نعرض حقيقة الحجاب، وأدلته، ومواصفاته، ونرد على الشبهات التي أثيرت حوله.

هل الحجاب عادة أم عبادة؟:

يروّج البعض لفكرة أن الحجاب "عادةٌ شرقية" أو "تقاليد قديمة"، وليس عبادةً إسلامية، وهذا قول باطل يكذبه صريح القرآن والسنة وإجماع الأمة.

قال الله تعالى:

"يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يُدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يُؤذين" [الأحزاب: 59]،

وقال أيضًا:

"وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن، ولا يُبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليَضرِبن بخمرهن على جيوبهن" [النور: 31].

هاتان الآيتان واضحتان في فرض الحجاب على كل امرأة مؤمنة، وهو تكليف إلهي، لا يخضع للعادات أو التقاليد أو الأعراف، بل هو عبادةٌ تؤجر عليها المرأة، وتعصي إذا تركتها بغير عذر.

وقد أجمع العلماء المعتبرون من المذاهب الأربعة على أن الحجاب فريضة شرعية، وليس مجرد اختيار شخصي، ومن ينكر فرضيته بعد العلم بها فقد أنكر أمرًا معلومًا من الدين بالضرورة.

مواصفات الحجاب الشرعي:

ليس كل ما يُسمّى "حجابًا" يكون حجابًا شرعيًا، بل لابد أن تتوافر فيه شروط شرعية حتى يُقبل، ومن أهمها:

أن يكون ساترًا لجميع البدن ما عدا الوجه والكفين على قول جماهير العلماء، أو ساترًا لهما أيضًا على قول من يرى وجوب النقاب.

أن يكون فضفاضًا لا يصف الجسم، لأن اللباس الضيق يفتن النظر ويخالف مقصود الحجاب.

أن يكون غير شفاف ولا يشفّ ما تحته، فاللباس الرقيق ليس سترًا بل زينة إضافية.

ألا يكون زينة في نفسه يلفت الأنظار بألوانه أو تطريزاته أو بريقه.

ألا يكون مشابهًا للباس الرجال أو الكافرات، لأن التشبه مذموم شرعًا.

ألا يكون معطرًا أو مبخّرًا عند الخروج، فقد قال النبي ﷺ: "أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها، فهي زانية" أي زنىً مجازيًا بمعنى الإثم.

إذا اختلت هذه الشروط، فلا يُعد اللباس حجابًا شرعيًا، بل مجرد ستارٍ ظاهري يُخالف المقصود الحقيقي من الحجاب.

الرد على من يقول ان الحجاب غير مذكور في القرآن:

يستدل البعض على إنكار الحجاب بزعم أن القرآن لم يأمر بالحجاب صراحة، وهذا جهل أو تدليس، فكما تقدم في الآيات، فإن كلمة "الخُمُر" و"الجَلابيب" وردت بوضوح، وهما لباس الرأس والجسم، والأمر في الآيتين صريح بوجوب التستر.

وقد فسر الصحابة رضوان اللّه عليهم هذه الآيات بما يدل على الحجاب الكامل، فقد رُوي عن عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت: "رحم اللّه نساء الأنصار، لما نزلت آية الحجاب خرجن كأن على رؤوسهن الغربان من السكينة، وقد لففن رؤوسهن وخمرهن".

ولو لم يكن الحجاب فريضة، لما التزمت به أمهات المؤمنين والصحابيات بهذه السرعة وهذه الصرامة، بل ولما كان مما يُعاب على تاركه عند السلف.

الحجاب بين الالتزام والابتلاء:

نعلم أن كثيراً من النساءِ قد يُواجهن صعوبة في الالتزام بالحجاب في بيئاتٍ لا تُقدّره، أو يُواجَهن بالسخرية أو العزل أو حتى المضايقات، لكن هذا كله لا يسقط الفرض، بل يزيد من الأجر، ويرفع مقام الثابتة على أمر الله.

قال تعالى: "إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة..." [فصلت: 30]، وقال النبي ﷺ: "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء"، فطوبى لكل امرأة آثرت رضا الله على رضا الناس، وتمسكت بحجابها رغم الفتن والضغوط.

خلاصة هذا الفصل:

الحجاب ليس رأيًا شخصيًا ولا عادة اجتماعية، بل هو فريضة من فرائض الدين، فرضها الله على المؤمنات لحكم عظيمة، منها صون الجسد، وطهارة المجتمع، وتطهير القلوب.

ولا يصح الإيمان الكامل إلا بقبول أمر الله، والاستسلام لحكمه، ومن أحبت الله ورسوله بصدق، التزمت أمرهما ولو خالف هواها.

فالحجاب شرفٌ وعزةٌ وعبادة، وليس تخلّفًا ولا عارًا كما يروّج أعداء الدين.

سادسا: الزواج والعلاقات المحرّمة

الزواج في الإسلام ليس مجرد عقد اجتماعي، بل هو ميثاقٌ غليظ، شرعه الله لتأسيس الأسرة، وحفظ الفطرة، وإشباع الغريزة بطريقٍ شريف، قال تعالى:

"ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" [الروم: 21].

وفي مقابل ذلك، حذّر الإسلام من كل علاقةٍ خارج هذا الإطار، وحرّم الزنا، والخلوة، والعلاقات العاطفية التي لا تقوم على عقد شرعي.

في هذا الفصل، نوضّح الفرق بين الزواج الحلال والعلاقات المحرّمة، ونكشف مفاهيم مغلوطة شائعة في هذا الباب، مع الدليل من القرآن والسنة.

الزواج: عبادة وسُنة مؤكدة:

الزواج ليس فقط لإشباع الغرائز، بل هو سُنّة الأنبياء، ووسيلةٌ لبناء المجتمع المسلم على الطهارة والاستقرار.

قال النبي ﷺ:

"يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُ للبصر وأحصن للفرج" [متفق عليه].

وقال: "النكاح من سنتي، فمن رغب عن سنتي فليس مني".

والزواج الشرعي يقوم على:

الإيجاب والقبول من الطرفين.

الولي للمرأة.

الشهود.

المهر.

الإشهار.

ولا يُشترط وجود "حفل زفاف"، ولا لبس معين، ولا طقوس مستوردة.

العلاقات العاطفية قبل الزواج:

من أكثر الخرافات الحديثة التي غزت المجتمعات: فكرة الحب قبل الزواج، واعتبار أن "العلاقة العاطفية" مرحلة ضرورية لفهم الطرف الآخر.

لكن الإسلام لم يُقرّ هذا المفهوم، بل حرّم الخلوة، والمراسلات العاطفية، والاختلاط المُفتن، والنظر بشهوة، لأنها أبواب تؤدي غالبًا إلى الفساد.

قال تعالى:

"ولا تقربوا الزنا، إنه كان فاحشة وساء سبيلا" [الإسراء: 32]

فلم يقل "لا تزنوا"، بل قال: "ولا تقربوا"، أي لا تقتربوا من أسبابه، ومنها الكلام الليّن، والنظرات، والمراسلات، والمقابلات، والضحكات بين الرجل والمرأة بلا رابط شرعي.

ومن زعم أنه "سيحبها ثم يتزوجها" دون التزام شرعي، فقد اتبع هواه لا شرع اللّه، لأن الزواج لا يُبنى على الحرام، والبركة لا تأتي من المعصية.

ما حدود العلاقة بين الخاطب والمخطوبة؟:

إذا تمّت الخطبة، فلا تزال الفتاة أجنبية عن الرجل حتى يتم عقد النكاح، ولا يحل له الخلوة بها، أو الخروج معها بلا محرم، أو الملامسة أو المراسلة الخاصة.

الخطبة هي وعدٌ بالزواج، لا تُحلّ ما لا يحله الزواج.

وقد قال النبي ﷺ: "لا يخلونّ رجلٌ بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما" [رواه الترمذي].

فلا يجوز تبرير العلاقات العاطفية بحجة "احنا مخطوبين"، فالخطبة ليست رخصة للمعصية، بل فترة لاختبار التوافق بإشراف الأسرة ووفق الضوابط الشرعية.

المفاهيم المغلوطة: "حرام نحرّم الحب؟":

يرى البعض أن الإسلام يعارض الحب، أو يقف ضد المشاعر الطبيعية، وهذا خلط بين الفطرة والمعصية.

الإسلام لا يُحرّم الميل القلبي، لكنه يُحرّم إظهار هذا الميل خارج الإطار الشرعي، لأنه يجرّ إلى الفتنة والفساد.

الحب الصادق هو ما يُتوَّج بالحلال، لا ما يُخبّأ في الخفاء ويتغذّى على الخيال والذنوب، فالحب الحقيقي هو أن تحب في اللّه، وتحب بالحلال، وتبتعد عن الحرام إرضاءً للّه.

الزواج العرفي والحرام المقنّع:

ظهرت صورٌ من العلاقات تحت مسمّياتٍ خادعة مثل: "زواج عرفي"، "زواج سري"، "زواج مسيار"، "زواج المتعة"، وغيرها، وبعضها يُشرّع الحرام تحت غطاء الدين.

الزواج العرفي إن كان مستوفيًا الشروط الشرعية (ولي، شهود، مهر) فهو صحيح، لكن إخفاءه فيه مفاسد كبيرة.

الزواج بلا ولي لا يصح، لقول النبي ﷺ:

"أيما امرأة نكحت نفسها بغير إذن وليها فنكاحها باطل" [رواه أبو داود].

زواج المتعة منكر باطل، وقد نُسخ وأجمع العلماء على تحريمه.

زواج المسيار فيه خلاف، لكن كثير من العلماء يرفضونه لما فيه من إهدار حقوق المرأة.

فالمؤمن لا يبحث عن "الحيل"، بل يطلب الحلال الكامل الذي يُرضي اللّه ويُبارك العلاقة.

خلاصة هذا الفصل:

الزواج في الإسلام عبادةٌ وحصنٌ وأساسٌ لبناء المجتمع، أما العلاقات خارج الزواج فهي فتنٌ ومصائد شيطانية مهما تجمّلت بالشعارات.

من أراد الحلال، فعليه أن يسلك سبيله من بابه، لا من وراء ظهره، ومن أراد رضا اللّه، فعليه أن يُطهّر قلبه وسلوكه من كل علاقة لا يرضاها ربه.

سابعا: الاختلاط وضوابط التعامل بين الرجال والنساء

من أبرز المفاهيم المغلوطة والمنتشرة في المجتمعات المعاصرة: الاختلاط العشوائي بين الجنسين، والتساهل في الحدود الشرعية، تحت ذرائع مثل: العمل، الدراسة، الزمالة، أو حتى "النية الطيبة".

في هذا الفصل، سنفصّل الضوابط التي شرعها الإسلام في تعامل الرجل مع المرأة، وما هو جائز، وما هو محرم، وما هي الفتنة التي يُحذر منها الشرع، مع بيان الدليل من القرآن والسنة.

هل الاختلاط حلال أم حرام؟:

الاختلاط في حد ذاته ليس حرامًا مطلقًا، إنما يُنظر إلى طبيعته:

هل هو اختلاطٌ منضبطٌ بالضوابط الشرعية؟

أم هو تبرّج، وضحك، ووجود خلوة، وكلام لين، ونظرات مريبة؟

فإن كان الأول، وكان لحاجة معتبرة (عمل، تعليم، بيع وشراء) وتم بالضوابط، فهو جائز.

أما الثاني، فهو حرام لأنه يُفضي للفتنة، والنبي ﷺ قال:

"ما تركت بعدي فتنةً أضر على الرجال من النساء" [متفق عليه].

ضوابط التعامل الشرعي بين الرجل والمرأة:

هذه الضوابط ليست تضييقًا، بل وقايةٌ من الفتنة وحمايةٌ للفطرة:

عدم الخلوة

قال ﷺ:

"لا يخلونّ رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" [متفق عليه].

الخلوة حرام، سواء في غرفة مغلقة، أو سيارة، أو مكان لا يراهم فيه أحد.

غض البصر

قال الله:

"قُل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم... وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن..." [النور: 30-31].

النظرة سهمٌ مسموم من سهام الشيطان، والنظرات المتكررة بوابةٌ للفتنة.

ج. عدم تليين الكلام

قال تعالى:

"فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض، وقلن قولًا معروفًا" [الأحزاب: 32].

الكلام بين الجنسين يجب أن يكون بجدية واحتشام، دون خضوع أو مزاحٍ متجاوز.

د. الحجاب الشرعي

المرأة مأمورة بالحجاب الكامل عند وجود الرجال الأجانب، قال الله:

"ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها" [النور: 31].

والحجاب لا يقتصر على الملابس، بل يشمل الحياء، والسلوك، والهيئة.

هـ. تجنُّب المزاح والكلام الزائد

قال ﷺ:

"إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت" [رواه البخاري].

والحياء لا يمنع العمل أو النجاح، لكنه يضبط العلاقة فلا تخرج عن الجادة.

العمل والدراسة المختلطة: هل هي محرمة؟

العمل أو الدراسة في بيئة مختلطة ليست محرمة بذاتها، إنما الحرام هو ما يصاحبها من مخالفات:

خلوات، أو خضوع في القول.

عدم التزام بالحجاب.

تبرّج أو اختلاط بلا حاجة.

فإذا انضبطت البيئة بهذه الشروط، جاز، لكن الأفضل دائمًا السعي نحو البدائل الآمنة، كالعمل أو الدراسة في بيئات غير مختلطة إن توفرت.

الخلوة الرقمية والمحادثات الخاصة:

في زمننا، الخلوة ليست فقط في الغرف، بل صارت خلوة رقمية عبر الرسائل، والمكالمات الخاصة، والفيديوهات، وهذه تأخذ حكم الخلوة المحرمة إذا لم تكن لغرضٍ مشروع وتحت إشراف.

قال العلماء: "كل ما يؤدي إلى الفتنة، فهو محرم، وإن غيّر شكله أو تسميته."

ومن هنا، لا يجوز المراسلات الخاصة بين الشاب والفتاة دون حاجة ملحة وضوابط واضحة، ولو بحسن نية.

الحياء لا يتعارض مع النجاح:

من أخطر ما يُروج له في الإعلام: أن "الاحتشام يمنع المرأة من التقدُم"، أو أن "التعامل الرسمي يجعل الفتاة مكروهة".

وهذا باطل، فقد كانت الصحابيات مثالًا في الحياء، وكنّ معلمات، ومربيات، ومشاركات في المجتمع، دون أن يخرجن عن حدود الشرع.

بل الحياء الحقيقي هو ما يرفع قيمة المرأة ويجعلها مصونة محترمة، لا سلعةً معروضة.

خلاصة الفصل:

الاختلاط ليس شراً مطلقًا، لكنّه باب فتنة إن لم يُضبط، والإسلام لم يُحرّم التعامل بين الجنسين، بل ضبطه بشروط تحمي القلب والسلوك والمجتمع.

ومن يلتزم بحدود الله في علاقاته، سيجد الطمأنينة والقبول في الدنيا والآخرة.

الجزء الثالث: بين الحرام والعادة

ثامنا: خرافات شائعة ليست من الدين

كثير من الناس يخلط بين ما هو حرام شرعًا، وما هو مجرد عادات وتقاليد مجتمعية، فيظن أن كل ما توارثه الناس هو من الدين، أو أن بعض الممارسات المخالفة للدين مبررة لأنها "عادة".

في هذا الفصل نكشف بعض الخرافات والمفاهيم الشعبية الخاطئة المنتشرة في البيوت والشارع والإعلام، ونُبيّن الحكم الصحيح لها من الكتاب والسنة.

"الطلاق لازم يكون على يد مأذون":

خطأ شائع: يعتقد البعض أن الطلاق لا يقع إلا أمام المأذون، وأن أي طلاق غير موثّق لا يُحسب.

الصواب: الطلاق يقع شرعًا إذا صدر من الزوج الواعي بكلماته، ولو في البيت، ما دام اللفظ صريحًا، والدليل:

قال تعالى:

"الطلاق مرتان..." [البقرة: 229].

والنبي ﷺ قال:

"ثلاثٌ جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة" [رواه أبو داود].

فالمأذون هو توثيق قانوني فقط، وليس شرطًا لوقوع الطلاق.

"المرأة لا تُصلِّي أثناء النفاس حتى 40 يومًا كاملة":

خطأ شائع: بعض النساء يعتقدن أن عليهن ترك الصلاة أربعين يومًا بعد الولادة، مهما كانت حالتهن.

الصواب: النفاس ليس له حدٌ معين، بل إذا طهرت المرأة بعد أيام قليلة، وجب عليها الغُسل والصلاة، ولا تنتظر 40 يومًا.

قال الإمام الشافعي:

"إذا رأت الطهر قبل الأربعين، فهي طاهر".

"لبس الأسود على الميت واجب شرعًا":

خرافة اجتماعية: ارتداء السواد بعد الوفاة أصبح عادةً منتشرة، ويُعتبر من مظاهر الحزن الواجبة عند البعض.

الصواب: لا أصل في الشرع للون الحزن،
ولم يُؤمر المسلمون بلبس لون معين بعد
الوفاة.

قال النبي ﷺ:

"ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية" [رواه البخاري].

الحزن مشروع بالقلب والدعاء، لا بالمظاهر المصطنعة.

"الزواج لازم يكون يوم جمعة أو في شهر معين":

عادة خاطئة: يظن البعض أن هناك أيامًا مباركة للزواج، وأخرى "نحس".

الصواب: لا يوجد في الإسلام يوم نحس للزواج، ولا شهر مخصوص يمنع فيه.

وقد تزوج النبي ﷺ وحدثت أعراس الصحابة في شتى الأيام دون اعتبار للتشاؤم.

"زيارة القبور للنساء حرام على الإطلاق":

اعتقاد خاطئ: بعض الناس يمنعون النساء تمامًا من زيارة القبور.

الصواب: جمهور العلماء أجاز زيارة النساء للقبور إذا كان الغرض التذكّر والدعاء، دون نواحٍ أو مخالفات،

لحديث النبي ﷺ:

"كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكركم الآخرة" [رواه مسلم].

"العين وحدها تسبب كل المشاكل":

مغالطة منتشرة: عند كل مرض أو فشل، يُقال: "عين وحسد"، ويُهمل السبب الحقيقي.

الصواب: العين حق، كما قال النبي ﷺ:

"العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين" [رواه مسلم]،

لكن لا يعني هذا أن نُهمل الأسباب الطبية والنفسية والاجتماعية، أو نتخذ العين شماعة لكل مصيبة.

"الصلاة بغير صوت أو بدون قراءة الفاتحة جائزة":

شائعة عند البعض: يكتفي بعض الناس بالركوع والسجود دون قراءة الفاتحة أو التسبيح، خصوصاً في الصلاة السرية.

الصواب: الفاتحة ركن في كل ركعة، لحديث النبي ﷺ:

"لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" [رواه البخاري].

ولا بد من الطمأنينة في الأركان والأذكار، وليس مجرد حركات جسدية.

"قراءة الفاتحة في الخطوبة واجبة":

عادة شائعة: تسمى جلسة الاتفاق بين العائلتين "قراءة الفاتحة"، وكأنها شرط شرعي.

الصواب: لا يوجد في السنة شيء اسمه "قراءة الفاتحة" للخطوبة، بل هذه عادة اجتماعية فقط.

والمشروع في الخطبة: السؤال عن الخُلق والدين، والدعاء بالتوفيق، لا إلزام بقراءة الفاتحة.

خلاصة الفصل:

ليس كل ما اعتاد عليه الناس هو من الدين، بل قد تكون العادة مناقضة للشرع، ويجب علينا أن نزن كل سلوك واعتقاد بميزان القرآن والسنة، لا ميزان الموروث الشعبي.

قال ﷺ:

"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" [رواه البخاري ومسلم].

تاسعا: بين الغلو والتفريط - التوازن الذي يريده الاسلام

من أعظم خصائص هذا الدين أنه "دين وسطية واعتدال"، فلا يدعو إلى التشدد المبالغ فيه، ولا إلى التسيّب والانحلال. كثير من الناس يقع في أحد طرفي الميزان:

إما "تشدد وغلو في الدين" حتى يضيّق على نفسه وعلى الناس،

أو "تفريط وتهاون" باسم التيسير، حتى يُفرّط في أوامر اللّه.

في هذا الفصل نسلّط الضوء على مفاهيم "الاعتدال الحقيقي" في الإسلام، ونكشف "مظاهر الغلو والتفريط" التي يقع فيها الناس، مع الأدلة الشرعية والتوازن المطلوب.

الغلو في الدين... حين يتحول الالتزام إلى تشدد:

قال تعالى:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ \[النساء: 171].

وقال النبي ﷺ:

"إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين" \[رواه النسائي].

أمثلة من الواقع:

من يحرّم كل جديد دون دليل لأنه "يشبه الكفار".

من يُنكر التيسيرات التي جاءت بها الشريعة باسم "الورع الزائد".

من يقطع رحم أهله بحجة أنهم لا يلتزمون مثله.

الميزان الصحيح: أن نلتزم بشرع اللّه كما جاء، "دون زيادة ولا نقصان".

التفريط باسم التسامح:

في مقابل الغلو، هناك من "يُفرّط في أوامر الله" باسم التسامح والانفتاح، فيُبرر المعصية، ويُهون الكبائر، بل ويستهزئ بالمتمسكين بالدين.

أمثلة:

من يبرر كشف العورة أو الاختلاط الكامل باسم "التطور".

من يصف من يصلي أو تلبس الحجاب بأنهم "متشددون".

من يقول "المهم القلب مش الشكل" ليتجاهل أوامر الله في الظاهر والباطن معًا.

قال الله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ \[البقرة: 143]

أي: لا غلوّ ولا تفريط.

الصيام... بين المشقة والتهاون:

بعض الناس يُبالغ في الصيام التطوعي ويهمل حقوق زوجته وأولاده.

وبعضهم يتهرب من صيام الفريضة بحجج صحية واهية.

قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو حين بالغ في الصيام والقيام:

"إن لجسدك عليك حقًا، وإن لعينك عليك حقًا..." \[رواه البخاري].

المرأة بين الإفراط والتفريط:

هناك من يمنع المرأة من التعليم أو العمل المشروع بحجة الدين، وهو "غلو مرفوض".

وهناك من يطلق للمرأة العنان بلا قيود شرعية، في اللباس والاختلاط، وهذا "تفريط خطير".

الإسلام أعطى المرأة حقوقها كاملة، وفرض عليها واجباتها، بلا ظلم ولا إطلاق مفرط.

قال ﷺ:

"النساء شقائق الرجال" \[رواه أبو داود].

حكم الناس على بعضهم: غلو في التكفير، أو تفريط في الولاء:

البعض يُكفّر أو يُفسّق كل من خالفه في الفهم أو التفسير، وهذا "غلو في الدين".

والبعض يتعامل مع أعداء الدين وكأنهم أولياء، بحجة "التعايش"، وهذا "تفريط في الولاء".

الواجب: أن نحب للّه، ونبغض للّه، دون ظلم أو تشدد أو تمييع.

قال ﷺ:

"من قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما" \[رواه البخاري].

خلاصة الفصل:

التدين الحقيقي هو "الاتزان":

أن تعمل بالدليل، لا بالهوى أو الموروث فقط.

أن تُراعي روح الشريعة، لا ظاهرها وحده.

أن تُحاسب نفسك دون أن تتسلط على الناس.

أن تُحافظ على دينك دون أن تُهمل الدنيا، أو تُضيع الآخرة باسم الدنيا.

قال الإمام ابن القيم:

"الدين بين الجافي عنه والغالي فيه، والسالك سبيل الحق قليل".

عاشرا: ميزان الشريعة — كيف نزن الأمور ونفهم ديننا بلا خرافة ولا تسيّب؟

من أعظم ما يُميّز دين الإسلام أنه دين يقوم على الميزان والعدل والوضوح، فلا يترك الأمور للعشوائية أو للأهواء، بل جعل لكل شيء ضوابط، وأصول، ومصادر مرجعية لا يُمكن الخروج عنها، وهي:

القرآن الكريم، والسنة النبوية الصحيحة، وفهم الصحابة رضي الله عنهم.

في هذا الفصل الأخير، سوف نبيّن كيف يُمكن لكل مسلم أن يزن الأمور في حياته الدينية والدنيوية وفق ميزان الشريعة الحق، وأن يفرّق بين الخرافة والحقيقة، وبين الحلال والحرام، وبين الحق والباطل.

الميزان الأول: الرجوع إلى القرآن والسنة بفهم صحيح:

قال الله تعالى:

﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: 59].

أي أمر يختلف فيه الناس، أو تنتشر حوله الأقوال، أو تحوم حوله الشبهات، يجب أن يُردّ إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، لا إلى العادات أو الأهواء أو الثقافة المجتمعية.

مثال تطبيقي:

مسألة التبرك بالأضرحة: يجب أن نردّها إلى النصوص الشرعية لنرى إن كانت من السنة أم من البدع.

مسألة الاحتفال بالمولد أو غيره من المناسبات الدينية: لا نحكم عليها بالعاطفة، بل بالأدلة.

الميزان الثاني: التفريق بين الثابت والمتغير:

ليس كل ما يُقال أو يُفعل في الدين ثابت لا يتغيّر. هناك:

ثوابت شرعية لا تتغير: كالصلاة، والحجاب، وتحريم الزنا، والربا.

وهناك أمور متغيرة بحسب الزمان والمكان: كطريقة الدعوة، ووسائل التعليم، وشكل اللباس المحتشم.

الفهم الصحيح للدين هو في التمييز بين الثوابت والمتغيرات.

الميزان الثالث: التحقق من صحة المعلومة قبل نشرها أو العمل بها:

قال النبي ﷺ:

"كفى بالمرءِ كذبًا أن يُحدّث بكل ما سمع" [رواه مسلم].

كثير من الناس ينقلون فتاوى أو قصص أو أحكام من غير تثبّت، ويظنون أنها من الدين وهي مجرد خرافات أو أحاديث موضوعة.

قبل أن تؤمن بأي معلومة دينية:

تأكد من صحة الحديث.

تأكد من الفتوى صادرة من عالم موثوق.

لا تبنِ دينك على "قالوا ويُقال".

الميزان الرابع: الميزان العقلي الشرعي — استخدام العقل بضوابط:

الإسلام لا يُلغي العقل، بل يكرّمه، ولكن يضع له حدوداً، فلا يُقدّم على الوحي.

قال الإمام الشاطبي:

"العقل خادم للنص، لا مُقدّم عليه".

مثال:

من يستخدم عقله لردّ حديث صحيح لأنه "لا يعجبه"، فهذا يُقدم الهوى على الشرع.

لكن من يستخدم عقله لفهم كيفية تطبيق الحكم الشرعي في واقعه، فهذا مطلوب وممدوح.

الميزان الخامس: الدين لا يُؤخذ من العوام ولا من كل متحدث:

ليس كل من لبس ثوبًا أو تكلم بلهجة دينية هو أهل للإفتاء أو التوجيه.

قال ابن سيرين:

"إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم".

خُرافة منتشرة: أن كل من قال "قال الله وقال الرسول" فهو عالم.

الحق: لا بد من:

العلم الشرعي المتين.

المصدر الموثوق.

السند في الفهم إلى السلف الصالح.

خلاصة الكتاب:

الإسلام ليس دين خرافة، ولا دين هوى، ولا دين تشدد، بل هو:

دين نور وهداية.

دين متكامل المصدر والميزان.

دين يحكم بين الناس بالعدل، ويضع الحدود بين الحق والباطل.

القاعدة الكبرى:

كل ما وافق الكتاب والسنة فهو الدين، وكل ما خالفهما فهو من الشبهة أو البدعة أو الخرافة.

تنبيه أخير للقارئ:

ما ورد في هذا الكتاب ليس حكمًا على الناس، بل هو دعوة للفهم الصحيح، والرجوع إلى الأصل، ونبذ الموروث المشوش.

نُشجّع كل قارئ على أن يكون باحثًا عن الحق، لا تابعًا للهوى أو التقليد الأعمى، فالدين مسؤولية، والعلم أمانة، والعقل نعمة.

الخاتمة

الحمد للّه الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه، والصلاة والسلام على خير الخلق سيدنا محمدٍ بن عبد اللّه، وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

لقد سعينا في هذا الكتاب أن نكشف الغبار عن كثير من المعتقدات المنتشرة بين الناس، سواء كانت خرافاتٍ لا أصل لها في الشرع، أو ممارساتٍ شائعة تُلبَّس بلباس الدين وهي في حقيقتها مخالفة للهدي النبوي، أو حدودًا فُهمت على غير وجهها بين الرجل والمرأة، فوقع الخلل في التصور والعمل.

كان هدفنا الأسمى أن نعيد المسلم إلى مرجعية الوحيين: القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، بفهم من سبقنا من السلف الصالح، وأن نجعل ميزان الحق هو الفيصل بين ما يُتداول من أقوال وأفعال، لا العاطفة ولا العادات ولا الهوى ولا الشهرة.

ولقد تعمّدنا في كل مسألة أن نُرفق الدليل الواضح، ونبيّن وجه الحق بمنهج علمي متزن، لا غلوّ فيه ولا تفريط، بعيداً عن الجدل العقيم، أو الانتصار للأشخاص.

إن الإسلام دين نورٍ وعقلٍ وفطرة، ودينُ اللّه لا يُبنى على الظنون، ولا يُؤخذ من القصص المتناقلة، ولا من الأعراف الموروثة دون تمحيص، بل هو وحيٌ محفوظ، وعلمٌ منضبط، وفهمٌ راسخ.

وختامًا، فإننا لا نزعم الكمال فيما كتبنا، ولا ندّعي العصمة فيما سطرنا، فإن أصبنا فبفضل اللّه وتوفيقه، وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان، ونستغفر اللّه من الزلل، ونسأله أن ينفعنا وينفع بكتابنا هذا من قرأه، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا.

وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسئلة بعضها لم يذكر في الكتاب

. هل قول "ما صدقنا ربنا رزقنا" من العبارات الجائزة شرعًا؟
لا، لأنها تنسب التمنّع أو التأخر إلى الله، وفيها سوء أدب مع الألفاظ المتعلقة بقدره ورزقه.

. هل يجوز اعتقاد أن هناك بركة أو شفاء في أضرحة الأولياء؟
لا يجوز، فهذا من التعلّق بغير الله، وقد يدخل في باب الشرك الأصغر أو الأكبر بحسب الاعتقاد.

. هل يحرم قول "لو كان فلان عاش ما كنش حصل كذا"؟
نعم، لأنه يدخل في باب "لو" التي تفتح عمل الشيطان، ويُخشى منها الاعتراض على قدر الله.

. هل يوجد في الشرع ما يُسمى بـ "الحب قبل الزواج" مباحًا دون حدود؟
لا، فالعلاقة بين الرجل والمرأة الأجنبيين محكومة بالضوابط الشرعية، والحب إذا جرّ إلى الخلوة أو الكلام المحرّم صار معصية.

. هل تصافح المرأة الرجل الأجنبي في الإسلام؟
لا يجوز، فقد قال النبي ﷺ: "إني لا أصافح النساء"، والمصافحة من غير حاجة فيها فتنة وخلوة باليد.

. هل الغيرة الزائدة من الرجل على زوجته تعتبر من الدين؟
الغيرة المحمودة نعم، أما المَرَضية أو الشك الدائم فليست من الدين، بل قد تُفسد العلاقة وتدخل في الظلم.

. هل يجوز تهنئة غير المسلمين بأعيادهم؟
لا يجوز تهنئتهم بأعيادهم الدينية، لأنها إقرار ضمني على ما هم عليه من معتقد باطل.

. هل هناك دليل شرعي على أن لبس الحجاب فرض؟
نعم، في قوله تعالى:
"يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن' [الأحزاب: 59]
وقوله: "وليضربن بخمرهن على جيوبهن' [النور: 31].

. هل يجوز تعليق الحجاب على التقاليد فقط دون نية طاعة؟
الحجاب عبادة، ولا يُقبل العمل إلا بالنية، ومن لبسته على أنه عادة فقط فقد فاتتها نية الأجر.

. ما حكم التعامل بين الجنسين في بيئة العمل؟
جائز بضوابط: أن يكون للحاجة، بغير خلوة، وبكلام مهني محترم، دون خضوع بالقول أو تليين.